

الفصل الثاني

مصر السكان

بعد أن تعرفنا على مصر من حيث المكان، أصبح واجباً علينا أن نتعرف على سكان مصر، هؤلاء البشر الذين ميزهم الله تبارك وتعالى وخصَّهم بالعديد من الخصائص.

مما خصَّ به الله أهل مصر، أن جعل بينهم الأنبياء، وربطهم بعلاقات الدم والنسب والمصاهرة، فوُلدَ بها من الأنبياء: موسى وهارون ويوشع ودانيال ولقمان، وتزوج إبراهيم الخليل من هاجر المصرية أم إسماعيل، كما تزوج نبي الله يوسف عليه السلام من ابنة صاحب عين شمس⁽¹⁾، وتزوج النبي الهادي المختار عليه الصلاة والسلام من أم المؤمنين السيدة مارية أم ولده إبراهيم، سلام الله عليهم أجمعين.

1- مصر الإسلامية، ص: 11.

خص الله أهل مصر كذلك بأن وهبهم منذ نزولهم بهذه الأرض الخير الوفير، ولم نجد في ذلك أبلغ من وصف نبي الله يوسف عليه السلام لمصر بأنها خزائن الأرض، مما يدل على وفرة الخير والرزق والموارد بها.

وكثيراً ما يدور هذا السؤال في خواطر الناس، وتتضارب فيه الإجابات والآراء، ونجد أحياناً تعصب كل باحث لرأيه ويقلل من احتمال صواب الآراء الأخرى، فحاولت أن أصل إلى الرأي الأرجح، من خلال تجميع كل الآراء وبحثها بحثاً يعتمد على العقل مستعينا بما تركه لنا السلف من أثر.

من هم أهل مصر، وما أصولهم ؟

نتناول ذلك من خلال عدة نقاط، لعلنا نصل سوياً إلى اجابة واضحة وكافية:

1. من المسلم به أن آدم عليه السلام هو أول البشر، ومن بعده ساح أولاده وأحفاده في الأرض، ومرت السنوات والعقود، وما لبث أن انتشر الشرك بين الناس، فبعث الله فيهم الأنبياء والرسل ليذكروهم بالله الواحد، حتى جاء الطوفان زمن نوح عليه السلام، ولم ينج من هذا الطوفان أحد إلا من حملة نوح معه على الفلك، وبعد أن جف الماء، ونزل نوح ومن معه عن

السفينة، أخذ أولاده وأحفاده من بعده على عاتقهم مسئولية أن يعمروا الأرض من جديد، ومن هنا جاء لقب نوح بأبي البشر الثاني.

ونزل (مصر بن بيصر بن حام بن نوح) مصر، وكان أول من سكنها بعد الطوفان، وعلى ذلك فأهل مصر هم حاميين نسبة إلى حام بن نوح.

2. قسّم علماء التاريخ العرب إلى ثلاثة أقسام:

أ-العرب البائدة: وهي القبائل العربية التي أبادها الله سبحانه وتعالى، ولم يعد لهم نسل أو ذرية، مثل عاد وثمود وغيرهما.

ب-العرب العاربة: وهي القبائل العربية اليمنية التي لم تختلط بغيرها من الأجناس، ومنهم العرب القحطانية.

ج-العرب المستعربة: فكانت هناك حضارة عظيمة في بلاد اليمن قامت على الزراعة حتى انهار سد مأرب، فهاجرت القبائل العربية من اليمن متجهة شمالاً، وانتشروا في شبه الجزيرة العربية، ومنهم من واصل رحلته حتى وصل مصر، وبالأخص شبه جزيرة سيناء.

كما نزلت بعض العرب بمكة (بِوَادِ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ)، ولم يكن بها إلا

السيدة هاجر وولدها إسماعيل وكانا على ماء زمزم، فاستأذنتهما تلك القبيلة أن ينزلوا معهما على البئر، فوافقا، وتزوج منهم إسماعيل وخرجت من ذريته القبائل العربية المستعربة، وبما أن هاجر مصرية، فصار أهل مصر أخوال العرب المستعربة أولاد إسماعيل، وهذا القسم من العرب نال شرف أن كان منه خير الخلق محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العدناني من أحفاد إسماعيل، فكثير من المصريين عرب وبقيتهم على أقل تقدير هم أخوال العرب.

3. كان لإبراهيم عليه السلام زوجتان، سارة أم اسحاق، وهاجر أم إسماعيل، أما عن نبي الله اسحاق عليه السلام فقد ولد له يعقوب (إسرائيل)، ويعقوب والد النبي يوسف الصديق، وقد دخل بنو إسرائيل مصر، وكان للمصريين علاقات نسب ومصاهرة مع أنبياء بني إسرائيل، وعلى ذلك، فقد اختلط أهل مصر مع الجنس السامي أولاد سام ابن نوح.

وجدير بالذكر أن علاقة الأخوة بين إسماعيل وإسحاق عليهما السلام هي السبب في ترديد اليهود عبارة "نحن أولاد عمومة" لنا كعرب.

4. لا نستطيع أن نغفل عن الامتداد الأفريقي لمصر والذي كان سبباً في وجود أصحاب البشرة السمراء من المصريين والذين

يرجعون في معظمهم إلى القبائل النوبية العريقة المفحمة بالوطنية والعزة والكرامة والتي تسكن في أقصى جنوب مصر. لفظ الأقباط هو لفظ يستخدم الآن للمصريين المسيحيين، وهو توظيف خاطئ للفظ، فكلمة قبطي هو مصطلح يوناني تم تعريبه، كان اليونان يطلقونه على المصريين عموماً قبل ظهور المسيحية بمئات السنين.

فاللفظ مشتق من كلمة (ايجيبتوس)، والذي اشتق منه أيضاً اسم مصر في الكثير من اللغات الغربية مثل: Egypt في اللغة الإنجليزية. فمصطلح قبطي يطلق على كل المصريين باختلاف أعراقهم أو أديانهم.

6. توجد نسبة قليلة من سكان مصر تنتمي إلى القبائل الأمازيغية التي تسكن شمال غرب أفريقيا، ومعظم أهل مصر الذين من أصل أمازيغي الآن يسكنون الصحراء الغربية في المنخفضات والوحدات القريبة من الحدود المصرية الليبية.

7. هناك أعداد ليست بالكثيرة أيضاً من المصريين ترجع أصولهم إلى بعض الجنسيات الأوروبية مثل التركية والجورجية واليونانية والأرمنية وغيرها، ولكل منها أسبابه في اختلاط أهل مصر به.

مما سبق نستنتج أن أفضل وصف لأهل مصر الآن هو أن أهل مصر (مصريون)، هم الذين عاشوا ويعيشون على أرضها، معترزين بانتمائهم إلى أمتهم الإسلامية، فخورين بكونهم قلب الأمة العربية، مقدرين عمقهم الأفريقي الذي مدهم بمياه النيل منذ آلاف السنين، مرحبين ومحتوين لأي عرق أو جنس من البشر قَدِمَ إليهم في أي وقت أو عصر، وعاش معهم في سلام.

• المصريون والحضارة:

كثيراً ما يردد الناس مصطلح الحضارة، دون أن يدرك بعضنا مفهومها، وقد تعددت المفاهيم إلا أن مؤداها واحد، ويمكن أن نعرف الحضارة بأنها كل ما أنتجه البشر في كل مجالات الحياة سواء كان هذا المنتج مادياً ملموساً تراه العين كالعمارة مثلاً، أو كان منتجاً ثقافياً يحسه الإنسان كالآداب والشعر.

وقد اجتمع جُلُّ علماء التاريخ على أن أقدم الحضارات هي الحضارات التي قامت على ضفاف الأنهار، حضارة بلاد الرافدين في العراق، وحضارة وادي النيل في مصر.

وقد مرت الحضارة الإنسانية بمراحل عديدة لأجل وصولها إلى مراحل متقدمة، وقد عكف العلماء على وضع وسائل لاقتفاء

ودراسة وتتبع تطور استخدام الإنسان للمواد المتاحة لديه من معطيات البيئة التي يعيش فيها، ولذا نجدهم يقسمون الحقب إلى عصور حجرية، وعصور استخدام المعادن⁽¹⁾، وكل منهما انقسم بدوره إلى عدة عصور حسب قدرات الإنسان في استغلال وتطوير هذا المورد.

أما بالنسبة لتقسيم الحقب الزمنية، فقد اجتمع علماء التاريخ على أن يتم تقسيمها إلى قسمين هما:

1. عصور ما قبل التاريخ: وهي الفترة التي بدأت مع وجود الإنسان على ظهر الأرض، وحتى منتصف الألف الرابع ق.م.، وكانت حياة الإنسان في هذه الفترة حياة بدائية يعتمد فيها على الجمع والالتقاط ثم عرف الصيد واكتشف النار، ولم تكن حياة الإنسان أبداً مستقرة في هذه الفترة، ولم يعرف حتى بناء المنازل، بل كان يسكن الكهوف. وهناك علماء مختصون بدراسة هذه العصور أغلبهم علماء أنثروبولوجيا وأثار عنهم علماء تاريخ، فإنسان هذا العصر لم يكن قد عرف الكتابة وتدوين الأحداث.

2. العصور التاريخية: بدأت مع معرفة الإنسان الكتابة حوالي عام 3350 ق.م. وقام بتدوين أحداثه وما يدور حوله، وقد بدأت

1- مقتطفات من تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم ص-3 د. عودة عبد الواحد.

الكتابة بأشكال وخطوط ورسومات ثم تطورت إلى أحرف مع الوقت، ومع معرفة الإنسان الكتابة وتدوين أحداثه، اعتبرت هذه الكتابات المصدر الأول لدراسة التاريخ.